عرض لكتاب :

«علم اللغة وصناعة المعجم» للدكتور علي القاسمي

بقلم : الدكتور نايف خرما
جامعة الكويت

يتالف الكتاب من تمهيد قصير « 3 صفحات » وخمسة فصول واربعة ملاحق ويتناول التمهيد بايجاز شديد الحاجة الى بحث فى الصناعة المعجمية الثنائية اللغة لعدم توافر اى بحث سابق باللغة العربية فى هذا الموضوع . كما يبين المؤلف ان الكتاب مبني على بحثباللغة الانجليزية كان حينئذ تحت الطبع فى دار بريل بليدن بالمانيا ونشر فيما بعد عام 1977 تحت عنوان : Linguistics and Bilingual Dictionaries .

والواقع أن النص العربى يكاد يكون ترجمة حرفية للنص الانجليزى ، فيما عدا بعض الحواشى والملاحظات التى تلزم القارىء العربى ولا تلزم القارىء الأجنبى ، كتلك الحواشى التى اضافها المؤلف عن المدارس اللغوية المختلفة (صفحات 15 ، 16 ، 17 ، 18) ، كما ان النسخة العربية قد تخلصت من كثير من الاشارات الى المراجع التى تزخر بها حواشى النص الانجليزى وذلك باتباع طريقة اكثر يسرًا . فقد رقم المؤلف دليل المراجع فى نهاية الكتاب بارقام مسلسلة (علاوة على تسلسلها الأبجدى) وجعل الاشارة الى احد تلك المراجع بذكر رقم المرجع فى الدليل ، ثم ارقام الصفحات المراد الاشارة الى احد تلك المراجع بذكر رقم المرجع فى الدليل ، ثم ارقام الصفحات المراد الاشارة اليها وجعل ذلك بين قوسين فى صلب النص ، لا فى الحاشية ، مثال ذلك :

« فى عام 1963 نشر كاتس وفودور نظريتهما فى علم الدلالة (190 : 170 — 210) وطالبا بان تؤلف المعجمات . . . . الخ . »

فاذا عاد القارىء الى دليل المراجع فى آخر الكتاب وجد المرجع المشار اليه والتفاصيل المتعلقة به دون اية صعوبة ، وهذا ، فى راينا ، اسلوب حسن وهو متبع فى معظم الكتب الاجنبية فى الوقت الحاضر ، وحبذا لو استخدمناه فى كتبنا العربية ايضا .

اما الفصل الاول من الكتاب فهو فى واقع الامر مقدمة الكتاب وعنوانه : **علم اللغة والصناعة المعجمية** يعرض فيه المؤلف المشكلة التى يحاول المساهمة فى حلها وهى فى نظره تتلخص فى وجود « **فجوة واسعة بين النظريات اللغوية الحديثة والتطبيقات المعجمية السائدة** » (صفحة 12) . ويرجع ذلك الى عدة اسباب اهمها ان المعاجم نمت نموا مستقلا عن علم اللغة معتمدة على الاقتناع والتقليد وكانت فى معظمها اعمالا تجارية اكثر منها اكاديمية ، كما ان اهمال علماء اللغة الامريكية للدراسات المعجمية حتى وقت متاخر ، وصعوبة تطبيق النظريات ، والتغير السريع فى المسرح اللغوى ، واختلاف اللغويين داخل المدرسة الواحدة من الاسباب الاخرى التى ساهمت فى توسيع الفجوة .

ثم يشير المؤلف الى الاهتمام الحديث بصناعة المعجم منذ الستينات . وينتقل الى اهمية بحثه من حيث انه من الدراسات القليلة فى الموضوع على نطاق عالمى ، وربما كان الأول والوحيد فى الموضوع باللغة العربية ، وبعد ذلك يذكر محتويات الفصول الأخرى من الكتاب .

ويلقى الفصل الثانى الضوء على تصانيف المعاجم السابقة وتقسيماتها ، ويذكر منها اربعة رئيسية هى تصنيفات ششربا وسيبوك ومالكيل والزدي .

وبعد أن يبين ان هـذه التصنيفات ليست كبيرة الفائدة بالنسبة للمعجمى يتقدم بتصنيفه الجديد الذى يتخذ من **غاية المعجم** نقطة انطلاق له . فيجعل المعاجم بموجب هذا المقياس ، سبعة أصناف هى : (1) معاجم للناطقين بلغة المتن ومعاجم للناطقين بلغة الشرح . (2) معاجم للغة المكتوبة ومعاجم للغة المحكية . (3) **معاجم للتعبير ومعاجم للفهم** . (4) معاجم لاستعمال الناس ومعاجم للترجمة الآلية. (5) معاجم تأريخية ومعاجم وصفية . (6) معاجم لغوية ومعاجم موسوعية . (7) معاجم عامة ومعاجم متخصصة (صفحة 41) .

ويتناول الفصل الثالث المشكلات النحوية فى المعجم الثنائى اللغة ، وتشمل هذه المشكلات النواحى الصوتية علاوة على المشكلات الصرفية والنحوية ، ونوعية المعلومات التى ينبغى ان تتوافر فى المعجم .

ويبحث الفصل الرابع مشكلات الدلالة ويركز على نواح ثلاث هى :

1) الترجمة من وجهة النظر اللغوية . (2) تمييز معانى الالفاظ المتجانسة او الالفاظ المتعددة المعانى . (3) العلاقة بين الكلمات المشتقة من أصل واحد . ويناقش المؤلف بالنسبة للنقطة الاخيرة ثلاثة اقتراحات لغوية لحل المشكلة ويبين نقاط الضعف فيها ثم يتقدم باقتراحه الخاص .

أما الفصل الخامس فيشتمل على اربع مشاكل أخرى متنوعة يواجهها المعجمى هى : (1) كيفية استعمال الالفاظ بموجب العرف والعادة (usage) . (2) الامثلة التوضيحية . (3) الصور والرسوم . (4) علاقة المعجم الثنائى اللغة بدراسة اللغات الاجنبية .

ويتبنى المؤلف هنا وجهة نظر معينة هى ان المعجم الثنائى اللغة ينبغى ان يشتمل « على معلومات كافية تساعد القارىء على الالمام التام بكيفية استخدام الالفاظ طبقا للقول السائد **لكل مقام مقال** ، والاستفادة بصورة وافية من استخدام الشواهد والرسوم لتوضيح المعانى ، وتبيان سلوك المفردات النحوى والاسلوبى » (ص 26).وهو يقترح ان « تتحكم الغاية من المعجم فى نوع المعلومات التى يجب تضمينها فيه وفى الكيفية التى تستخدم فيها الشواهد التوضيحية والرسوم » (ص 26) .

ليس هناك ادنى شك بأن كتاب الدكتور القاسمى اضافة قيمة للمكتبة العربية ومحاولة فعالة لوضع معايير واسس واضحة لصناعة المعاجم الثنائية اللغة. واهم ما فى الكتاب ، بلاريب ، هو اتخاذ الغاية نقطة انطلاق لصناعة اى معجم ، وهو امر لم يكن دائما غائبا عن اذهان المعجميين ، الا ان المحاولة الجديدة تهدف الى ايضاح معنى هذه النقطة وانعكاساتها على الانواع المختلفة من المعاجم . ومما يجدر ذكره ان جميع الابحاث التى القيت فى المؤتمر الاخير الذى خصص لصناعة المعاجم والذى عقد فى النصف الثانى من شهر اغسطس عام 1980 بجامعة اكستر بالمملكة المتحدة ، وقيض لي ان احضره مع الدكتور القاسمى ، اقول ان جميع الابحاث كانت تركز على هذه النقطة بالذات التى ركز عليها الدكتور القاسمى فى كتابه وهى : **الغاية** من المعجم ، **والجمهور** الذى يؤلف المعجم ويوجه له .

والفصل الثانى من الكتاب هو العمود الفقرى ، لان المؤلف يذكر فيه بايجاز المعايير التى يقترح ان يتخذها المعجميون اساسا لصناعة المعاجم المختلفة ولان الفصول اللاحقة تعالج المشكلات المختلفة على ضوء التصنيف المذكور فى هذا الفصل .

ومن اهم ما ينبغى ان نميز به هذا الكتاب عن غيره من الكتب المشابهة سواء فى اللغات الاجنبية او العربية هو انه لا يهدف — كما فعل غيره — الى تصنيف المعاجم الموجودة فعلا ، بل هو يهدف الى وضع الاسس لمساعدة المعجميين على وضع معاجم من انواع مختلفة ، علاوة على مساعدة العلماء والدارسين والطلاب والجمهور على اختيار المعجم المناسب . وهو بهذا يقدم خدمة كبيرة جدا للقارىء العربى .

أما النقطة الاخرى التى لابد من تسجيلها للمؤلف والتى نوافقه عليها كل الموافقة فهى ما يذكره فى الفصل الخامس من الكتاب عن مشكلة استخدام الالفاظ بحسب العرف والعادة (usage) وهذا ما تحرص عليه كثير من المعاجم الانجليزية / العربية المتوافرة فى الاسواق الآن . والوصول الى هذا الهدف يتأتى جزئيا من ايراد **السياق** اللغوى (verbal context) لكل معنى من معانى الكلمة الواحدة ، مع الامثلة التوضيحية اللازمة لذلك ، قبل ان يعطى المرادف باللغة العربية لذلك المعنى الواحد . وهذا ما حرصنا على ايراده عند اعدادنا

لمعجم انجليزى /عربى مدرسى يطبع الآن وسيصدر قريبا تحت اسم معجم العالم العربى (انجليزى / عربى) The Arab World English/Arabic Dictionary

اما ما يوصى به المؤلف من ايراد كافة المعلومات اللازمة التى تساعد القارىء على استخدام كل نقطة فى **المقام المناسب** (context of situation) فهو اقتراح رائع لو امكن تنفيذه فعلا ، ولكنه امر عسير جدا ، وهو مثل اعلى ننشده جميعا ، الا انه امر يستحق كل جهد وكل محاولة .

ولابد من التنويه اخيرًا بالملاحق الاربعة القيمة التى وردت فى نهاية الكتاب . فالملحق الاول يشتمل على مجموعة المعايير التى يمكن تحكيمها فى تصنيف المعاجم الثنائية اللغة وتقويمها وهو بهذا يقدم خدمة للمشترى مستخدم المعجم . اما الملحق الثانى فانه يضم مراجع ومصادر الكتاب التى يصل عددها الى (173) مرتبة حسب الابجدية ومرقمة لتسهيل الاشارة اليها فى النص . كما ان المداخل جميعها مرتبة بطريقة واحدة منسقة تكاد تكون خالية من الاخطاء المطبعية . ويهتم الملحق الثالث بالموضوعات فهو كشاف لها مرتبة حسب الابجدية العربية مع ما يقابلها باللغة الانجليزية ، وهو بهذا مسرد (glossary) للتعابير الفنية فى علم اللغة اصبح لايخلو منه كتاب فى هذا العلم . وليس من السهل هنا الحكم على صحة المرادف العربى او دقة دلالته على المعنى المقصود بالتعبير الانجليزى ، وذلك لعدم توافر تعابير فنية موحدة باللغة العربية لعلم اللغة الحديث .

ولهذا فان جهد المؤلف فى هذا المجال جهد مشكور . ويختتم الكتاب بالملحق الرابع الذى هو عبارة عن كشاف ومسرد للاعلام الواردة فى النص .

وفى النهاية فلابد ان نقرر ثانية بأن الكتاب جهد جبار يستحق المؤلف عليه الشكر والثناء . كما اننا نوصى المهتمين بالموضوع بالاطلاع عليه ودراسته بعمق بقصد الاستفادة من بعض المقترحات الرئيسية الواردة فيه ، وربما الاضافة اليها او تعديل بعضها بما يخدم العلم والعلماء .